اللمعة الزرقاء

أوستن فريمان

(نشرت لأول مرة عام ١٩٠٩ م)

نظر ثورنديك إلى رصيف المحطة بقلق متزايد كلما اقترب موعد انطلاق القطار، قال: "إنه حظ سيء جدا" وأخذ يحدق إلى الحارس وهو يلوح بالراية الخضراء: "أخشى أننا قد أضعنا صديقنا"، وأغلق الباب، بينما أخذ القطار بالتحرك أخرج رأسه من النافذة وقال: "أتساءل إذا كان ذلك الذي يركض هو صاحبنا، إذا كان هو فلا بد أنه لحق بالقطار آخر لحظة وهو الآن في إحدى المقصورات المتطرفة"

كان حديث ثورنديك يدور حول السيد إدوارد ستوب فورد من شركة ستوب فورد وميرس للمحاماة، وما يربطه بنا في الوقت الحالي برقية وصلتنا في المساء الماضي فحواها: "هل تستطيع الحضور غدا؟ حالة مستعجلة النفقات مدفوعة – ستوب فورد"

رد ثورنديك بالإيجاب، ثم وصلته برقية اخرى هذا الصباح مفادها سأصل إلى ودهورست بقطار الساعة الثامنة والربع فهل يمكن أن أراكما هناك – إدوار ستوب فورد"

وبما أنه غير معروف لأي منا، فمن الصعب أن نجزم إذا كان بين المسافرين على الرصيف أم لا.

كرر ثورنديك: "حظ سيء جدا.. لقد حرمنا من فرصة الإلمام بالنقاط الأساسية للحالة القديمة" ملأ غليونه بانشغال ثم أخرج الصحيفة وبدأ بتصفحها كانت عيناه تجري على العناوين قال وهو يقلب الصحيفة: "من الصعب أن تستلم قضية دون أي فكرة مسبقة أو تحضير فعلى سبيل المثال..."

توقف عن إتمام الجملة، وعندما نظرت مستفسرا وجدته منكبا على الصحيفة، وهو يقرأ باهتمام. ثم قال: "إن هذه تبدو مشابهة لقضيتنا يا جيرفيس" ثم ناولني الصحيفة مشيرا إلى فقرة في أعلى الصفحة بعنوان: "جريمة رهيبة في كنت" أما نصها فكان:

"اكتشفت جريمة مثيرة صباح البارحة في قرية ودهورست الواقعة علي الخط الثانوي المتفرع من تقاطع هالبوري، كان أول من اكتشفها أحد الحمالين في المحطة والذي كان واقفا أمام عربات الدرجات الأولى، وما أن فتح الباب حتى ذعر لرؤية جيد امرأة بزي عسكري يتكوم على الأرض، تم استدعاء الإسعاف على الفور بإشراف الدكتور مورتن الذي أفاد أن الوفاة قد حدثت منذ بضع لحظات"

تدل حالة الجثة على جريمة وحشية؛ فسبب الوفاة جرح عميق الرأس يخترق عظام الجمجمة ليصل إلى الدماغ. لم يكن سبب الجريمة مجوهرات المغدورة وأشياء أخرى ثمينة لم تمس. وقد رددت الإشاعات أن الشرطة المحلية قد قامت باعتقال أحد الاشخاص فعلقت: "يا له من أمر شنيع لكن التقرير لا يزودنا بتفاصيل وافية".

ثم سلمت الصحيفة إلى صاحبي الذي وافق على ذلك: "نعم، ومع ذلك فهي تقدم شيئا يستحق التفكير؛ فهناك الجرح العميق في الجمجمة، فما الأداة التي تسبب مثل هذا الجرح؟ وكيف يمكن استخدام مثل هذه الأداة في حدود المطقة الضيقة لعربة القطار؟.. ومن ذلك الشخص الذي يكون بحوزته مثل هذه الأداة؟ كل هذه الأسئلة الأساسية إضافة إلى الدوافع الممكنة – ومنها السرقة – قضية بحاجة إلى تفكير وتمحيص".

فقلت: "إن اختيار الأداة المناسبة ليس شيئا عظيما".

"لكنه محدود؛ فمعظم من يستخدم مثل هذه الأداة كإزميل النحات أو مطرقة الجيولوجي لهم مجالات معينة، هل لديك كتاب ملاحظات؟"

تقبلت الفكرة وأخذت أتفحص الكتاب بهدوء، بينما انغمس صديقي في خواطره وأفكاره حتي أيقظته حركة القطار، وهو يتباطئ لدى وصوله إلى تقاطع هالبوري حيث علينا الانتقال إلى خط آخر. لاحظت ونحن نخطو خارجين، شخصا حسن الهيئة والهندام يسرع على الرصيف وهو يتصفح الوجوه باهتمام، وسرعان ما انتبه إلينا فاقترب بسرعة، وسأل وهو ينقل بصره بيننا:

"دكتور ثورنديك؟"

أخذ ثورنديك يفكر بصمت، ولم ينتبه إلا عندما تحرك القطار من محطة شينغل هورست.

قال السيد ستوب فورد: "لا بد أن الجريمة قد حدثت هنا أو على الاقل بين هذا المكان وولدهورست"

رنا ثورنديك للحظة إلى المناظر المطلة من النافذة ثم علق أخيرا: لقد لاحظت انتشار رقاقات خشبية على طول الخط الحديدي ويبدو بعضها جديدا فهل جرت أعمال التثبيت مؤخرا؟ "

أجاب ستبفورد: "أعتقد هذا فقد رأيت فريقا من العمال قرب ولدهورست البارحة وقالوا أنهم سيجمعون الرقاقات ويحرقونها معا.. لقد رأيت الدخان المتصاعد في طريقي إلى هذا المكان"

نظر ثورنديك إلى الكومة المشتعلة إلى أن عبر قطار المواشي على الخط المتوسط وحجب المنظر عن الأنظار، والآن بدأ القطار بالتباطؤ، وبعد لحظات وصلنا إلي محطة ولدهورست.

لا بد أن إشاعات اشتراك ثورنديك قد سبقتنا لأننا شاهدنا حمالي المحطة والمراقب والرئيس ينتظرون على الرصيف، وقد هرع الأخير بجلالته لمساعدتنا في حمل المتاع.

سأل ثورنديك المحامي: "هل تعتقد أن بإمكاننا رؤية العربة؟"

فرد رئيس المحطة: "نعم، ولكن ليس من الداخل يا سيدي فقد قام بتشميعها"

ثم عرض علينا صحبته إلى العربة.

سأله ثورنديك: "من هم المسافرون الآخرون الذين كانوا في عربة الدرجة الأولى؟"

"لا أحد يا سيدي.. هناك عربة واحدة فقط كانت فيها المغدورة لقد أفزعنا هذا الحادث كثيرا"، ثم تابع عندما وصلنا إلى الخط الآخر: "لقد كنت على الرصيف عندما جاء القطار أشاهد العمل وهم يحرقون قطع الخشب، وأقترح أن نغير خط قطار المواشي بعيدا فكما ترى يا سيدي الدخان المتصاعد قد يهيج ويخيف المواشي، والسيد فيلتون لا يرغب في معاملة مواشيه بفظاظة لأن ذلك يفسد اللحم كما يقول".

قال ثورنديك: "إنه محق بلا شك، لكن أخبرني هل تعتقد أنه يمكن لأي شخص أن يدخل أو يخرج من باب الطوارئ؟"

أجاب المدير: "أشك بذلك، ولكن ليس مستحيلا"

"شكرا لك.. سؤال آخر: هناك فريق عمل على الخط كما أرى، فهل ينتمي هؤلاء الرجال إلى المقاطعة؟"

"لا يا سيدي.. إنهم غرباء، ولكن لا ضرر منهم فإذا كنت تظن أن أحدهم قد..."

قاطعه ثورنديك بحدة: "أنا لا أشك بأحد، ولكني أرغب بجمع الحقائق".

أجاب الموظف المرتبك: "طبيعي يا سيدي" بينما تابعنا طريقنا في صمت قال ثورنديك ونحن نقترب من المقصورة الفارغة: "هل تذكر بالمناسبة إذا كان باب الطوارئ مغلقا بالقفل عند اكتشاف الجريمة؟"

"لقد كان مغلقا يا سيدي، ولكنه ليس مغلقا بالفعل، لماذا يا سيدي هل تظن..."

"لا شيء.. لا أظن شيئا.. المقصورة المختومة بالشمع هي المقصودة طبعا؟"

واندفع دون انتظار الرد إلى المقصورة، بينما قمت بإعاقة الباقين عن اللحاق به.

لفت انتباهه سلم الطوارئ بشكل خاص، ثم أخذ يتفحص الجانب المقابل للمقصورة المشهودة، وهو يروح ويغدو ببطء وعيناه مركزتان على بعد إنشات قليلة من سطح العربة وكانوا يبحثون عن شيء ما. ثم توقف أمام نهاية الحافة (المقصورة) وأخرج قطعة ورق من جيبه ثم التقط بطرف إصبعه شيئا ما وضعه بحرص شديد في الورقة وطواها ثم وضعها في جيبه.

بعد ذلك صعد سلم العربة وقام برش مسحوق معين على النافذة، ثم انتظر وشاهد كيف يتجمع المسحوق على النافذة الوسطى خاصة، ملتصقا بشيء ما، ثم قام بقياس تلك النافذة بمسطرة أخرجها من جيبه.

ووقف بعد ذلك يتأمل العربة عن بعد ثم أعلن أنه انتهى في الوقت الحاضر، وبينما كنا نهبط عائدين قابلنا عاملا كان يراقب الكراسي والقطع الخشبية باهتمام أكثر من المعتاد.

فقال ثورنديك: "أريد أن اتخلف عنكم لحظة لأتبادل مع هذا العامل بضع كلمات فأرجو منكم أن تتابعوا طريقكم ببطء"، ثم استدار واتجه إلي العامل، وبقي معه بضع لحظات.

وشاهدنا المحقق هناك مصادفة فقدم نفسه وقال: "لا بد أنكم ترغبون بمشاهدة أداة الجريمة"، فصحح ثورنديك: "نصل المظلة نعم إذا سمحت سنذهب الآن إلى المشرحة".

"عليك بعبور المحطة إذا وسأرافقك"

تمت الموافقة على هذا العرض وذهبنا إلى مركز الشرطة مع رئيس المحطة الذي كان في قمة الانفعال

قال المحقق: "في الحقيقة ليس هناك أي فرصة للدفاع فكل الأدلة بما فيها أداة الجريمة نفسها تشير إلى المتهم"

لكن ثورنديك احتج قائلا: "تعال، تعال، يجب ألا نتصرف بحماقة"

ثم أخذ الأداة وتفحصها بعدسة، وبعد أن أخذ ملاحظات عن حجمها وقياسها قال: "والآن دعونا ننظر إلى صندوق الألوان ومخطط

الرسم.. يا له من رجل مرتب أخوك هذا يا ستوب فورد فكل شيء له مكان خاص نظيف بعد الاستعمال".

وتناول المخطط ووضعه على الكرسي تحت قدر كاف من الضوء ثم تراجع خطوات إلى الخلف ونظر إليه.

قال بتعجب وهو ينظر إلى المحامي: "وتقول لي أنه من ثلاث ساعات فقط.. حقا إنه إنجاز عظيم"

أجاب ستوب فورد: "إن أخي عامل رشيق"

أعاد ثورندك المخطط إلى مكانه وشكر المحقق ثم غادر المكان.

وبينما كنا نصعد إلى الشارع قال: "أعطاني المخطط وصندوق الألوان إيحاء مفيدا جدا"

فقال ستوب فورد بغموض: "وأنا ايضا؛ فهما محجوزان كصاحبهما المسكين".

ثم تنهد بعمق ومشينا بصمت.

يبدو أن حارس المشرحة قد سمع بمجيئنا لأننا وجدناه منتظرا أمام الباب والمفتاح في يده وعندما اطلع على إذن الدخول فتح الباب ودخلنا معا.

ومن النظرة الأولى إلى الشبح الملفوف والممدد على الطاولة الرخامية شحب وجه ستوب فورد وتراجع متعللا أنه سينتظر في الخارج

مع الحارس، وما أن أغلق الباب حتي أخذ ثورنديك يتفحص بفضول المكان المدهون بالأبيض.

سقط شعاع من الشمس على الجسم المسجى تحت الأغطية البيضاء، وآخر على زاوية قرب الباب على طاولة وضعت عليها ثياب المرحومة وأغراضها.

قال ثورنديك: "هناك حزن لا يوصف في هذه البقايا البائسة" ثم وقف أمامها وتابع: "إنها أكثر مأساوية في نظري من الجثة نفسها. انظر إلى القبعة الفاخرة والجوارب الثمينة، وكيف تعبران عن الوحشية، والحذاء الفرنسي الصغير كل هذا يتحدث بفصاحة عن الرقة الأنثوية والحياة المرفهة اللامبالية والتي توقفت بلمحة عين، لكننا يجب ألا نكون عاطفيين فهناك حياة أخرى مهددة وهو في حمايتنا".

ثم قلب القبعة بين يديه، وكانت من الطراز الأول المسمى بالقبعة المصورة؛ فهي كبيرة الحجم ومزدانة بالأشرطة والرياش والترتر الأزرق القاتم.

قال ثورنديك: "لا بد أن القبعة كانت تميل إلى الجانب الأيسر على رأس الضحية نظرا لموقع الثقب".

وافقت على ذلك: "نعم.. على طريقة الدوقات الألمانيات"

"بالضبط".

وهز القبعة فتناثر قليل من الترتر على راحة يده، ثم أعاد القبعة إلى مكانها، بينما أسقط دوائر الترتر الزرقاء اللامعة إلى ظرف وضعه في جيبه، ثم اقترب من الطاولة وكشف الغطاء قليلا عن وجه المرأة القتيلة، ونظر إليها بشفقة عميقة.

كان وجها جميلا أبيض كالرخام هادئا مسالم التعابير مغمض العينين مكللا بهالة من الشعر الأشقر، لكن هذا الجمال اختل بوجود جرح طويل وتهشم على الخد الأيمن ممتد من العين حتى الذقن.

علق ثورنديك: "فتاة وسيمة، شعر كستنائي رائع، ترى لماذا عاملته بالأكسجين هكذا" ورد الشعر عن الجبين مضيفا: "يبدو أنها فعلت ذلك منذ عشرة أيام مضت لأنه قد تكشف مقدار إنش من الشعر القاتم.. ما رأيك بهذا الجرح على الخد؟"

"يبدو أنها ارتطمت بشيء صلب أثناء سقوطها على أن نوعية المقاعد في عربات الدرجة الأولى لا تفسر وجود مثل هذا الشيء."

"لا، والآن دعنا ننظر إلى الجرح الآخر.. سجل الوصف لو سمحت"

وناولني دفتر ملاحظاته وأخذت أكتب ما يمليه علي.

"ثقب مدور في الجمجمة على ارتفاع إنش إلى خلف الأذن اليسرى بقطر قدره إنش، أعشار الإنش تكسر العظم، واختراق عميق للدماغ يمتد هذا الجرح الخطير إلى حجاج العين اليسرى، وفي نهايته

تهشم وتفتت بسيط.. هذا يكفي الآن، وسيزودنا الدكتور مورتن بتفاصيل أخرى إذا احتجنا لذلك"

ثم جمع أدواته الدقيقة، وأودعها جيبه والتقط من العظم المتهشم شعرتين شائبتين وضعهما في ظرف مع قطع الترتر الأزرق اللامع. وبعد بحثه في الجثة عن جروح أخرى ولم يجد أي شيء أعاد الغطاء إلى موضعه واستعد للمغادرة. وبينما نحن نبتعد عن المشرحة كان ثورنديك شارد الذهن وصامتا مما دفعني للاعتقاد أنه يحاول أن يجمع الحقائق.

ثم قال وهو ينظر حوله بطريقه الحاذقة المنتبهة: "لقد نسيت أن أضع مرارة الثور في حقيبتي"

فصحت بتعجب: "مرارة ثور.. ماذا ستفعل بـ..."

لكني توقفت هنا متذكرا كم يكره صديقي أن أشرح أساليبه أمام الغرباء، فقال ستوب فورد: "يمكنك الحصول عليها من القصاب هناك حانوت عبر الطريق".

فوافق ثورنديك ملاحظا الحانوت: "نعم هناك.. يجب أن تحضر المرارة بالطبع، وإلا فعلينا استخراجها من ثور حي إذا كان لدى القصاب سنحاول على أية حال"

وعبرنا الطريق إلى حانوت كتب عليه "فيلتون" بأحرف مضيئة؛ فعرّف ثورنديك بنفسه وبما يريد؛ فهتف القصاب: "مرارة ثور؟.. كلا

سيدي ليس لدي شيء من هذا القبيل حاليا، ولكن إن كان الأمر على قدر كبير من الأهمية يمكنني أن أذبح لكم ثورا الآن".

قال ثورنديك: "ذلك لطف منك، لكن يهمني أن يكون الحيوان في صحة جيدة"

"إنهم في حالة ممتازة يا سيدي.. لقد انتقيتها من القطيع بنفسي يمكنك رؤيتهم واختيار ما تريد"

فقال ثورنديك: "حقا إنك لطيف، سأسرع بإحضار قارورة من الصيدلي المجاور وأعود لتلبية عرضك الكريم".

وهرع إلى الصيدلية ليخرج منها بعد لحظات حاملا طردا صغيرا أبيض، ثم تبعنا جميعا القصاب إلى حظيرة مجاورة للحانوت، وهناك كان ثلاثة ثيران ذوات منظر حسن وقد أدخلت رؤوسها في غلالات سوداء ولم يظهر إلا القرون القوية المستقيمة تقريبا ذات اللون الرمادي المغبر.

قال ثورنديك: "إن هذا الحيوانات جيدة يا سيد فيلتون وبحالة ممتازة أيضا"، ثم انحنى إلى الأمام وتأمل الحيوانات بعين فاحصة، وخاصة قرونها، ثم دنا من أقربها ورفع عصاه وضرب برفق على قمة وجانبي القرن الأيمن، ثم فعل الشيء نفسه مع الأيسر، ولكن الحيوان نظر إليه بدهشة بليدة.

شرح ثورنديك وهو ينتقل إلى الحيوان الآخر: "إن حالة القرن تنبئ عن صحة الحيوان إلى حد ما"

فضحك السيد فيلتون: "ليباركك الله يا سيدي.. لكنها لا تشعر بقرونها"

ويبدو أنه علي حق؛ فالثور الثاني لم يبد أي إحساس تجاه الضربات، ولكن عندما اقترب ثورنديك من الثور الثالث اقتربت لا شعوريا لأراقب، فلاحظت أنه عندما هوت عصا على القرن تراجع الحيوان إلى الخلف بذعر، وعندما تكررت الضربة اضطرب كليا. قال القصاب:

"يبدو أنه يجب ذلك.. أوه إنه أمر سخيف!"

وما أن لامست العصا القرن الأيسر حتلا قفز متراجعا إلى الخلف وهو يخور هازا رأسه. فقال القصاب: "لا أظن أن هناك خلل ما بهذا الحيوان يا سيد؟"

أجاب ثورنديك: "لا أستطيع القول قبل الفحص أكثر، فقد يكون الضرر في القرن فقط، إذا استطعت اقتلاعه من الرأس وإرساله إلي في الفندق فسأفحصه واخبرك، وحتى لا يحصل أي التباس فسأقوم بتغطيته فلا يتأثر بعملية الذبح أيضا".

فتح الطرد الصغير وأخرج قطعة قماش وقارورة مفلطحة كتب عليها "مرارة الثور" وشمع لاصق. سلم القارورة إلى السيد فيلتون وقام بتغطية القرن بالقماش ثم ثبتها بالشمع اللاصق.

قال السيد فيلتون: "سأقتلع القرن وأحضره إلى الفندق بنفسي خلال نصف ساعة"

وقد كان عند قوله تماما، حيث تسلم ثورنديك القرن بعد نصف ساعة بالضبط.

كانت المنضدة أمام ثورنديك مغطاة بالصحف بينما يتمدد القرن فوقها، وأما ثورنديك فقد أخرج منظارا مكبرا وبعض الأدوات من حقيبته وأخذ يعمل.

جلس القصاب بجمود على كرسي وهو يلقي نظرات الشك والريبة على ثورنديك منتظرا تقريره بينما انغمست في حديث شيق مع ستوب فورد على أني كنت أتوق لمعرفة ما وراء تصرفات صاحبي. رأيته يثني القرن ويمرره جانب أذنه جيئة وذهابا ثم نزع شريحة من السطح وأخذ يفحصها بالعدسة المكبرة ثم التقط مادة ما من النهاية المدببة للقرن. وضع الشريحة تحت المجهر وفحصها بدقة للحظات فإذا به يستدير بحدة قائلا: "تعال يا جرفيس وانظر" فاقتربت بسرعة يملؤني الفضول وألقيت نظرة على الآلة. فسألني: "ها، ماذا وجدت؟"

"خلية عصبية متشعبة، صحيح أنها دقيقة جدا ومسحوقة ولكنها لا تُخطأ"

"هذا؟" ثم أدار الشريحة إلى موقع جديد.

"خليتان عصبيتان حيتان وأجزاء صغيرة من النسيج"

"ما نوع النسيج؟"

"أستطيع القول أنه من نسيج قشرة الدماغ"

"أتفق معك في هذا تماما، وعلى هذا الأساس".. ثم استدار إلى ستوب فورد وأضاف: "أستطيع أن أقول أن قضية الدفاع قد أنجزت مبدئيا".

فصاح ستوب فورد منفعلا: "ماذا تقصد بحق السماء؟"

"أعني أننا نعرف الآن الطريقة التي لاقت الآنسة جرانت حتفها بها.. تعال اجلس هنا وسأشرح لك.. لا داع لأن تخرج يا سيد فيلتون فقد نحتاجك".

ثم تابع: "علينا عرض الحقائق واستنتاج دلائلها. أولا موقع الجثة، حيث كانت ملقاة والقدمان بجانب الباب الجانبي مما يدل على أن المغدورة كانت تجلس أو تقف بجانب الباب ساعة مقتلها ثم هناك هذا..."

وأخرج ورقة مطوية من جيبه ثم فتحها فإذا بلمعة زرقاء وقال: "هذه قطعة ترتر من القطع التي تزين قبعتها ولدي بعضها انتزعتها من القبعة ذاتها.. أما هذه بالذات فقد التقطتها من الحافة الخارجية للنافذة الجانبية، ويدل وجودها في ذلك المكان أن الآنسة لا بد أنها مدت رأسها من النافذة.. القسم الثاني من الدليل تكشف لي عندما قمت برش إطار النافذة الجانبية بمسحوق أبيض؛ فظهرت دمعة شحمية بطول ربع إنش على الزاوية اليمنى (اليمنى من الداخل طبعا) والآن إلى الدليل الآخر الذي يوضحه وقطره بحدود الإنش وسبعة أعشار الإنش. أما على الصدغ الأيمن فهناك تهشم بطول ثلاثة إنشات، ولكن دون جروح"

"تتضح الحقائق التالية كما يلي..." والتقط القرن ونقر عليه باصبعه بينما يحدق به كل من السيد فيلتون والمحامي بتعجب صامت.. "إنه القرن الأيسر، وهو حساس جدا كما تذكرون، إذا وضع أحدكم أذنه قربه حين اهتزازه فسيسمع اهتزازا في النواة العظمية.. انظروا إلى الطرف المدبب ستجدون عليه خدوشا عميقة طويلة تغطيها بقع من الدماء الجافة، أما ذروته فعليها كمية ضئيلة من مادة جافة، وقد قمت بفحصها مع الدكتور جيرفس تحت المجهر ووجدنا أنها من أنسجة الدماغ".

أطلق ستوب فورد صيحة تعجب وانتصار: "يا الله!... هل تقصد أن..."

قاطعه ثورنديك: "دعني أنهي عرض الحقائق يا سيد ستوب فورد، والآن إذا نظرتم إلى بقعة الدم عن كثب فسترون جزءا قصيرا من شعرة ملتصقة بالقرن، وبواسطة المجهر تستطيعون تبين شعرة ذهبية، لكن قرب الجذور تكون كستنائية، ثم أخرج ظرفا من جيبه قائلا: "في هذا الظرف قليل من الشعر المأخوذ من رأس المرأة المقتولة ذات لون الشعر أشقر كستنائي قرب الجذر، وأخيرا إليكم هذا.."

وقلب القرن مشيرا إلى بقعة صغيرة من الدم الجاف وقد غرست فيها لمعة زرقاء.. حدّق القصاب والمحامي بالقرن بدهشة صامتة، وأخذ الثاني نفسا عميقا، ونظر إلى ثورنديك: "لا شك أنك وجدت تفسيرا لهذا اللغز، غير أنني ما زلت متحيرا بالنسبة لي حتى الآن".

أجاب ثورنديك: "بعد هذا فالأمر بسيط جدا سأعرض نظريتي القائمة على هذه الحقائق وستحكم بنفسك".

ورسم بعض الخطوط على صفحة أمامه وأكمل: "هذا هو الوضع لدى اقتراب القطار من ولد هورست؛ فهنا عربة المسافرين، وهنا الأكوام المحترقة، وهنا عربة شحن الدواب حيث كان هذا الثور والآن هذه هي نظريتي؛ ففي الوقت الذي كانت قبعتها الواسعة مائلة إلى الجانب الأيسر مما حجب عنها رؤية قاطرة الدواب المقتربة ثم حدث الآتي..."

وخط بضعة رسوم أخرى وقال: "كان أحد الثيران – الذي بين يدينا – يمد قرنه الطويل عبر القضبان، ارتطم القرن برأس الضحية من الجهة اليمني فسبب اصطدام الرأس بزاوية النافذة بعنف فأصيب القرن بخدوش وارتجت الأجزاء في نوبة من شدة الصدمة.. هذه النظرة مدعمة بالحقائق التي بين يدينا والتي لا تفسح مجالا لتوقعات أخرى"

بقي المحامي ذاهلا برهة ثم نهض وأمسك بيد ثورنديك بحرارة: "لا أعرف كيف أشكرك لكنك أنقذت حياة أخي، وأدعو الله أن يجزيك خيرا!"

أما القصاب فقد نهض من كرسيه بتثاقل، وقال: "يبدو لي يا سيد أن مرارة الثور تلك لم تكن سوي شرك، ها؟"

فابتسم ثورنديك ابتسامة مبهمة.. عدنا في اليوم التالي إلى البلدة لحضور مأدبة لأربعة أشخاص على رأسهم السيد هارولد ستوب فورد.

بعد أن صدر قرار هيئة المحكمة "الموت قضاء وقدر" تم إطلاق سراح الفنان وهو يجلس الآن بجانب أخيه ليستمع باهتمام شديد إلى تحليل ثورنديك للقضية. وأخيرا سأل هارولد: "ألم تشك في براءتي أبدا؟".. ابتسم ثورنديك لموكله السابق: "ليس بعد أن اطلعت على صندوق الألوان واللوحة الخاصة بك"